

لَعْنَةُ الْعَرَبِ

مَحَلُّهُ نَزَادِيٍّ عَلَيْهِ نَارُ الْخَيْتِ

الجزء الخامس عن شوال سنة ١٣٢٩ = تشرين الثاني سنة ١٩١١

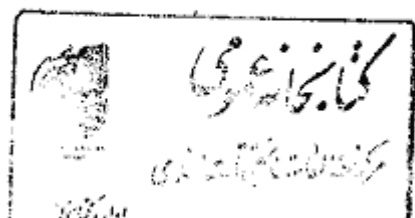
وصف اطلال سامراء

إذا خرجت من سامراء وصرت وراء سورها ، وقعت في مسجد
« الملوية » ، وذلك على بعد ٥٠٠ متر تقريباً : وهو هذا الجامع الذي
قال عنه اليعقوبي : « وبني المتوكل بن المعتصم المسجد الجامع في أول
الحير في موضع واسع خارج المنازل لا يتصل به شيء من القطائع والاسواق
واقفه ووسعه واحكم بناءه وجعل فيه فوارق ماء (أي شاذرواناً) لا
ينقطع ماؤها ، وجعل الطرقات اليه من ثلاثة صفوف واسعة عظيمة من
الشارع الذي يأخذ من وادي ابراهيم بن رباح ، في كل صف حوائط
فيها اصناف التجارات والصناعات والبياعات ، عرض كل صف مائة

ذراع بالذراع السوداء ، لئلا يضيق عليه الدخول الى المسجد اذا حضر المسجد في الجمع في جيوشه وجموعه وبخيله ورجله ، ومن كل صف الى الصف الذي يليه دروب وسكك فيها قطائع جماعة من طامة الناس ، فالتفت على الناس المنازل والدور ، واتسع اهل الاسواق والمهمن والصناعات في تلك الحوائط والاسواق التي في صفوف المسجد الجامع . هـ .

وقد وجدت اليوم آثار تلك الفوارة حتى لم يبق ريب في ان هذا الجامع هو الذي بناه المتوكل ، هذا فضلاً عن بقاء الملوحة على حالها الاولى ، وهي اقدم مئذنة في الاسلام ، لانها على طرز الزقورة التي كان يتخذها الصابئة من الكلدانيين والخرنانيين والبابليين في بيوت عباداتهم وكان يسميها العرب الهيكل . ومنه كلام صاعد الاندلسي عن الكلدان : وهم نهجوا لاهل الشق الاخر من معمور الارض الطريق الى تدير الهيكل ، لاستجلاب قوى السكواكب ، واظهار طبائعها ، وطرح شعاعاتها عليها ، بانواع القرابين المقربة لها ، وضروب التدابير المخصوصة بها . هـ . وكانت هذه الابراج على سبع طبقات وكل طبقة بلون يوافق لون السيارة الذي خص بها . ويصعد الى اعلاها من الخارج لا من الداخل وكل ذلك على شكل ملوى .

والظاهر ان المتوكل بنى تلك المئذنة على الصورة المذكورة نحوياً لا لانظار اليها واستماله للصابئة الى دين الاسلام ، لان الصابئة كانوا كثيرين في عهد الخلفاء العباسيين وقد بزعوا في جميع علوم ذلك العصر فيحتمل ان يكون هناك سبب آخر لا يخطر ببالنا اليوم لان اسباب الحضارة



والتمدن قد اختلفت عما كانت في سابق العهد .

اما السور فبنى بالاجر والجص ويبلغ امتداد الباقي منه المبنى (٢٤٠) متراً في جهة الطول وطول الباقي منه في جهة العرض (١٦٠) متراً فيكون مجموع ما في الطولين والعرضين (٨٠٠) متر ويبلغ علوه (١٥) متراً وفي كل جانب من جانبيه في الطول (١٢) برجاً [١] وفي العرض (٨) ابراج وفي كل ركن من اركانه برج اكبر مما تقدم ذكره فيكون الجميع (٤٤) وبين كل برج وبرج ان كان في جانب الطول او العرض (٥٥) قدماً وثلاثة ارباع القدم او (١٤) متراً واربعه وثلاثون سنتيمتراً ومستدير قطر كل برج (٢٧) قدماً وربيع القدم او (٧) امتار وسنتيمتران ومستدير قطر كل برج من ابراج الاركان (٤٦) قدماً وربيع القدم او (١١) متراً وتسعه وثمانون سنتيمتراً وفيه (١٣) باباً وبين كل باب وباب قراب (٢٠) متراً وقد يكون دون ذلك . اما بابه الاصلى فمقابل للقبلة . وعلى جانبيه بابان دونه طولاً وعرضاً بشئ قليل . ويقابلهما ايضاً بابان بقدرهما . وعلو الباب الاوسط خمسة امتار ونصف في ثلاثة امتار عرضاً . وفي اعلى حائط الباب المذكور من داخل السور اثنتان وعشرون مشكاة (٢) يبلغ طول كل مشكاة نحواً من مترين في عرض متر و (٢٥) سنتيمتراً .

« ١ » اليوم يسمى اهل العراق البرج « قوله » واللفظة تركية

(٢) المشكاة هي الروشن بالفارسية العربية . ويقال فيها ايضاً الروزنة

وبعض عوام العراق يقولون الرازونه

وفي السور ايضاً بابان بكبر البابين المذكورين في الحائط الذي يكون عن يسارك اذا دخلت الباب الاكبر. وفي ركن الحائط المذكور من الجانب الاخر باب صغير يعلو الرجل بنصف متر ويقابله باب مثله . وفي ركن الحائط الذي يقابل حائط الباب الاصلى بابان بقدرهما . وفي ركن الحائط الذي يكون عن يمينك اذا دخلت الباب الاصلى عند ملتقى الحائطين باب صغير كالاباب الذي تقدم ذكر وصفه . ويقابله ايضاً باب مثله .

وفوق كل باب منهما في رأس الحائط روزنتان نافذتان الى الجهة الاخرى بقدر المشاكي المتقدم ذكرها في الطول والعرض .

واما فناء المسجد فهو اليوم عبارة عن انقاض ركام لا غير . الا ان الدكتور العلامة مرتضى قد كشف تراب جانب منه فانحسر عن آثار الفوارة التي مر ذكرها وأثر رواق . والفساء كله مفروش بالطاباق او الاجر وقدر ذلك الطاباق هو قدر الاجر المستعمل اليوم في بغداد اى طوله وسرضه (٣٠) سنتيمتراً . وربما كان طاباق سامراء اكبر بقليل لكنه دون آجر بغداد ثخناً .

ومما اكتشفه الدكتور المذكور دكة (أى دكان) قدام الباب الاصلى من الخارج علوها متر ونصف وطولها متران في عرض متر ونصف . وعند الدكان من الخارج قبر طوله ثلاثة امتار وعرضه متر ونصف . ويظن انه اطول مما يشاهد لان طرفه داخل تحت الردم . وبينه وبين المصطبة زهاء مترين . ووراء ذلك القبر من الخارج على مسافة (١٠) امتار سرداب عمقه قراب (١٠) امتار غير ان فيه انقاضاً كثيرة ولا يعرف مقدار عمقه الاصلى .

اما الطابق الذى بنى منه حائط المسجد فهو بقدر طابقنا البغدادى
الحالى المذكور تكسيره آخاً . الا ان بعضه اثنى من آجرنا وببضه اصغر
منه اى بقدر الذى يسونه في زورائنا الطابوق السلطاني ، الذى
تكسيره (١٧) ستيماً . اما اثنين من هذا الاجر فيبلغ ثمنه من (١٠)
الى (١١) ستيماً .

وبين يدي السور من جهة المدينة فناء واسع مفروش بالاجر
مساحته خمسون خطوة ، ووراء سور المسجد من الجهة الاخرى
المقابلة لذلك الفناء هو يبلغ عرضه (٥٠) متراً وعلى حد البهو مئذنة
المسجد المعروفة بالموية . وبها يسمى المسجد اليوم اى يقال « جامع
الموية » بدلاً من « الجامع المسجد المتوكلى » .

اما بناء هذه الموية فبالجص والاجر وشكلها شكل مقبول او مبروم
قتل ست قتلات (ولعل القتل الاولى لانها تحوت الارض) .
ومن يريد الصعود الى اعلاها يرتقيها دائراً فيها حتى يصل الى اعلاها .
وفي ذروتها باب معقود مسسم علوه (٣) امتار وعرضه متر ثم
تصعد منه في درج عدد درجاته (١٨) طول كل منها متر وعلوها (٢٠)
ستيماً والفرغين الدرجة والدرجة (٢٥) ستيماً وبين تلك الدرجات
درجة وهي السابعة في الصعود والثانية عشرة في النزول فرغها (٨٠)
ستيماً اما سقف تلك الدرجات فهو ايضاً معقود مسسم وعلوه وعرضه
مثل علو وعرض الباب المذكور آخاً وفي راسها محل يسع اثني عشر
رجلاً . وعرض الطريقة التي يصعد فيها قراب متر ومسافة قتلها

الست (٤٠٠) خطوة او (٢٤٧) متراً ومدة الصعود اربع دقائق لا غير اما محط الملوية من الاسفل فين الاربعين والخمسين متراً ومن الاعلى بين (١٨) و (٢٠) متراً وارتفاعها (٥٠) متراً . والقناة الذي بين سور المسجد والملوية مفروش كله بالاجر او الطاباق ويتخلل ذلك القناة عمد مبنية بالاجر بعضها مربع وبعضها مدور مستطيل وهي متفرقة والمسافات بينها متفاوتة .

وبجانب المسجد وعن يمينه من الورا سور يسمونه « سور عيسى » ولا يعلم على التحقيق من هو هذا عيسى هل هو عيسى بن عني او عيسى بن موسى العباسي لان اليعقوبي لم يذكره في كتاب البلدان عند ايراده الاقطاعات التي قطعها الخليفة اصحابه وبعضهم يسميه « سور ام عيسى » . ولم يبق البلى منه سوى بعض شرفات متداعيات وبناء هذا السور من اللبن ومسافة طوله (٣٦٠) متراً وعرضه (٢٠٠) متر وفي ساحته تلؤل صفار وكبار .

ووراء سور عيسى على مسافة ٢٠٠ متر عن جهتك البني تلؤل كثيرة . كشف الدكتور هرتسفلد الانث الذي ذكر عن قسم منها المعروف اليوم عند العوام باسم « دار بهلول » فظهرت فيه ابنية هي عبارة عن غرف متصلة بعضها ببعض مختلفة في طولها وعرضها . وبناءها باللبن ومطلى خارجها بالحصص وعلى الحصص غشاء من البورق . ولون هذا البورق ضارب الى الزرقة . وعلو الشاهق من حيطان هذه الابنية متران ونصف . اما ساحتها فبعضها مرتفع وبعضها منخفض . وفي جدرانها نقوش مختلفة

الأشكال بديعة الصنع . وقد أخذ الدكتور الاستاذ صبور تلك الآثار ونقوشها وما فيها بالتصوير الشمسى . وقد رأينا فى بعض جدرانها سطرين بالقلم الفارسى محفورين حفراً طول كل منهما ٢٠ سنتيمتراً غير أننا لم نهند الى قراءتهما كما ولا الدكتور ولا المهرة من أبناء اللغة الفارسية . لقدم عهدهما واندراى آثارهما . وتلك الابنية المكشوفة هى عبارة عما يقرب من عشرين داراً .

وهذا الوصف يذكرنا ما جاء عن المختار فى معجم ياقوت اذ يقول : هو قصر كان بسامرآء من ابنيه المتوكل . ذكر ابو الحسن على بن يحيى المتجهم عن ابيه قال : اخذ الواثق بيدي يوماً وجعل يطوف الابنية بسامرآء ليختار بها بيتاً يشرب فيه ، فلما انتهى الى البيت المعروف بالمختار استحسنه وجعل يتأمله وقال هل رأيت احسن من هذا البناء ؟ - فقلت : يتمتع الله امير المؤمنين به ، وتكلمت بما حضرني ، وكانت فيه صور عجيبة من جملتها صورة بيعة فيه رهبان واحسنها صورة شهر (١) البيعة ، قامر بفرش الموضع واصلاح المجلس ، وحضر الندماء والمغنون ، واخذنا فى الشرب ، فلما انتشى

(١) لا وجود لكلمة شهر فى كتب اللغة من قديمة وحديثة . وقد بحثنا عنها كثيراً حتى وقفنا على معناها . والكلمة نصرانية من اصل ارمى [اى كلدانى اوسريانى اونبلى] من (شهرار) ومعناها الساهر ويراد بها من يتولى ترتيب التهجد [اى صلاة الليل] فى البيعة . والقسيس الاعمى الذى كان يتولى خدمة البيعة . — والكاهن او الشمساس الذى يراس الهجد [جمع مجود وهو المصلى ليلاً]

في الشرب اخذ سكيناً لطيفاً وكتب على حائط البيت :
 مارأيئنا كهجبة المختار لا ولا مثل صورة الشهاب
 مجلس حف بالسرور وبالترجس والاس والقنا والزمار
 ليس فيه عيب سوى ان مافي سيفيه نازل الاقدار
 فقلت يعيد الله امير المؤمنين ودولته من هذا . ووجنا . فقال :
 شانكم وما قاتكم من وقتكم ، وما يقدم قولي خيراً ولا يؤخر شراً .
 قال ابو علي : فاجتزت بعد سنين بسر من رأى ، فرأيت بقايا هذا
 البيت وعلى حائط من حيطانه مكتوب :
 هذى ديار ملوك دبروا زمنا امر البلاد وكانوا سادة العرب
 عصى الزمان عليهم بعد طاعته فانظر الى فعله بالجوسق الحرب
 وبركوار وبالمختار قد خلتا من ذلك العز والسلطان والترب
 وبركوار بيت بناء المتوكل . اه . وهو الذي مر الكلام عليه وصحة
 اللفظة بركوارا بالف في الاخر ومنهم من سماه خطأ بركوان بنون في
 الآخر على ما ذكره ماقوت في كلامه عن سامراء .
 ووراء سور عيسى ايضاً من جهة الشمال على مسافة ربع ساعة
 منه يرى « الجب » وقد أنشأه (على ما يقال وينقل) الخليفة المتوكل
 العباسي ويحيط بالجب سور مبني بالطاباق والجص وقد سقطت منه بعض
 التبرقات ، والباقي منه متداع مائل . ومسافة يحيطه لا تقل عن مائتي
 متر . اما هيئة الجب فهي عبارة عن حقرة كبيرة في بطن الارض مربعة
 الاركان تنزل فيها قفص الى عشرين سرداباً ينفذ بعضها الى بعض .

وعمق كل سرداب منها اربعة امتار وطوله سبعة وعرضه ثلاثة وتحت هذه السرايب سرداب واقع بابه في القبلة وقد سلكناه فيه مايقرب من عشرين متراً فلم نصل الى آخره غير اننا انتهينا الى انقاض كثيرة ثم رجعنا ادراجنا . اما عمقه فلا ندري قدره لكثرة ما هنالك من الصخور المزركة . والحجارة المتبعثرة على اهاب الارض .

والذي يشاهد فيه اليوم ان غوره ١٢ متر وعرضه متران . وحدثني بعض المممرين من اهل سامرآء قال كان في القرن الماضي في هذا الجب سرداب ينفذ من الجب الى بركة السباع وسيأتي ذكرها . اما عمق الجب في الارض فيبلغ قراب ٢٠ متراً ومسافة محيطه قراب ٦٠ متراً وتمشي فوق الجب وانت مغرب في ارض كلها دكاك وصخور وانقاض متراكمة بعضها فوق بعض مسافتها ٣٥٠ متراً . ثم تقف على بركة السباع التي مر ذكرها آنفاً ويسمى اهل سامرآء (ام البطوط) وهي نقرة مربعة الاركان يبلغ مسافة محيطها قراب (١١٠) امتار وعمقها قراب ١٦ متراً ويحيط بها سور قد سقطت جوانبه الثلاثة وبقي منه الجانب الرابع وقد سقطت منه ايضاً بعض شرافات والبقى مائل . وحول ذلك السور في جهاته الاربع انقاض واحجار وصخور كثيرة لاتقل مسافة محيطها عن ثلث ساعه . ولعلها انقاض القصور التي ذكرها اليعقوبي في كتاب البلدان قال بعد كلام طويل : ثم عزم المعتصم على ان ينزل بذلك الموضع (وكان فيه دير للنصارى) فاحضر محمد بن عبد الملك الزيات وابن ابي دؤاد وعمر بن فرج واحمد بن خالد المعروف بأبي الوزير

وقال لهم اشتروا: من اصحاب هذا الدير هذه الارض وادفعوا اليهم ثمنها اربعة آلاف دينار ففعلوا ذلك ثم احضر المهندسين فقال: اختاروا اصلح هذه المواضع. فاختاروا عدة مواضع للقصور وصير الى كل رجل من اصحابه بناء قصر فصير الى خاقان عرطسوج ابى الفتح بن خاقان بناء الجوسق الخاقانى والى عمر بن فرج بناء القصر المعروف بالعمرى والى ابى الوزير بناء القصر المعروف بالوزيرى. انتهى. ويظن انها هى لان دار السلطنة المعروفة بدار العامة حولها واليوم تعرف تلك الدار بقصر الخليفة وسيأتى ذكرها ان شاء الله.

(لبحث تلـ) م . . كاظم الدجيلى

البعع والوعوع والضبطرى

اذا هبطت ديار الشام، وبالحصوص اذا نزلت لبنان، وتجولت في ربوعه وزرت بيوت اهاليه. ثم تنصت لما يقوله الامهات لاولادهن عند اسكاتهن لهم او تخويفهن اياهم، تسمعن يقطن: ببعع ببعع، اسكت جاء الببع (بضم الباء واسكان العين) فاذا سمع الوليد هذا الصوت خاف وسكت. واذا سالت الام: مامعنى الببع وما تريدن بهذا اللفظ؟ تلجلجت وما استطاعت ان تفيدك شيئاً يروى غليلك. على انى سالت كثيرين من الادباء ان يطلعوننى على معنى هذا الحرف فقال قوم منهم: هذه كلمة تخويف ليس الا. وقال فريق يراى بذلك حيوان مجهول الاوصاف الا انه من الوحوش الضارية. وقالت جماعة: بل